جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة– كلية العلوم الانسانية والاجتماعية–

قسم التاريخ

السنة الجامعية: 2023 –2024 **د.طيبي مهدية**

محاضرة: تاريخ المغرب الحديث **المستوى: الثانية ليسانس**

المحاضرة السادسة: المغرب في عهد السلطان احمد المنصور1578 / 1603 م

بويع احمد المنصور غداة معركة وادي المخازن ولقب بالمنصور استفاد من هذا النصر على الصعيد الداخلي والخارجي وتمتع المغرب في عهده باستقرار نسبي بالرغم من قيام بعض الاضطرابات وبخاصة تلك التي اثارها افراد من اسرته كان واسع الثقافة جمع بين الثقافة التقليدية والخبرة بالمسائل العصرية والدبلوماسية والإدارية قرب بين العلماء والفقهاء والمغاربة واتصل بعلماء مشارقة في مصر والشام

كان احمد المنصور إداريا ممتازا جمع في مخزنه بين التقاليد المغربية والتاثيرات التركية وتميز مخزن المنصور بكثرة عدد الأجانب وقوة نفوذهم وبخاصة الاتراك والعلوج الذين شغلوا مناصب كبيرة في المخزن والجيش و قد أدى استخدام عدد كبير من الاتراك الى ازدياد التاثير التركي في المخزن و الجيش و اللباس و ما عدا ذلك ظل المخزن السعدي مخزنا مغربيا تقليديا

فرض المنصور مركزية شديدة وكان متطلعا على اخبار النواحي يقرا ما يرد عنه من رسائل عماله ولا يتأخر في الإجابة عنها وكان له عيون في جميع انحاء المغرب وكان شديد الحذر اخترع اشكالا من الخط على عدد حروف المعجم يكتب فيها ما لا يريد الاطلاع عليه من اسراره واخباره وهذا ما يعرف بالشفرة الان .

اهتم المنصور بأمور الجيش والاسطول كان جيشه يتكون من قسمين:

- جيش نظامي حديث يتكون من عناصر أساسية من اتراك وعلوج واندلسيين ويعتمد على الأسلحة الحديثة المصنوعة محليا او المستوردة من اروبا وسمي عسكر النار

- جيش تقليدي يعتمد على أسلوب التجنيد التقليدي المعروف في المغرب وعلى الأسلحة التقليدية غير النارية وسمي عسكر الاسنة

و اعتنى المنصور بأمر الاسطول و اوكل امره الى واحد من ابرز رجال البحر الريس إبراهيم الشط و جعل مركز قيادة الاسطول في ثغر العرائش وكان المنصور محبا للعظمة و

المظاهر الفخمة حيث بنى قصر البديع ليخلده و يخلد اسرته و سعى ان يجعل منه تحفة فنية لا مثيل لها تجمع بين تقاليد المشرق و المغرب و اروبا الفنية و احتفل المنصور بالأعياد الدينية احتفالا لم يعرف له مثيل من قبل و عمل على تكوين حامية وحرس لم تكن لسلطان من قبل فقد كان يحرص على المظاهر الفخمة و لسد النفقات و افتكاك الاسرى و غنائم وادي المخازن الضخمة و موارد القرصنة الوفيرة و احتكار بعض الصناعات و لا سيما احتكار السكر و الملح و تنشيط التجارة مع الأجانب و الضرائب التقليدية فهاجم السودان سنة و بالرغم انه كان بلدا إسلاميا تحكمه حكومة إسلامية و ذلك ليستولي على مناجم الذهب الغنية و مع ذلك لم يكفه ذلك كله فلجا الى ارهاق الشعب بزيادة الضرائب و التعسف في جبايتها

سياسة المنصور الخارجية:

اعطى انتصار وادي المخازن للمغرب ولأحمد المنصور هيبة وسمعة دولية واستند اليها المنصور في سياسته الخارجية واستفاد منها ويتجلى ذلك في الوفود التي وفدت على المنصور والهدايا الثمينة التي حملها وقد حفل عهد المنصور بنشاط دبلوماسي واسع كان الغرض منه تامين سلامة المغرب وبالرغم من اتساع علاقة المنصور الخارجية وتنوع المشاريع السياسية التي ترددت في اتصالاته هذه فانه حرص على الاستفادة منها دون ان يورط المغرب في اي مغامرة خارجية

كانت الظروف الخارجية مواتية للمنصور فقد كانت اروبا تعيش في فترة صراع دولي بين اسبانيا من جهة و بريطانيا و فرنسا و البلاد المنخفضة من جهة أخرى و قد شلت هذه الحروب نشاط اسبانيا في افريقيا و دفعتها كما دفعت غيرها من الدول الى التماس المساعدة المغربية كما كانت الدولة العثمانية مشغولة في اروبا و في صراعها مع ايران – الصفويين – و في اضطرابات البلاد العربية و لم يعد بإمكانها تهديد المغرب تهديدا جديا و ذلك من جراء تراجع قوتها اثر هزيمة معركة ليبانت سنة 1571 و انتشار الفوضى في ممتلكاتها الافريقية بعد وفاة العلج علي عام 1587 و في هذه الظروف كان المنصور في وضع يجعله اكثر حرية في اختيار حلفائه وفق ما تقتضيه ظروفه و مصالحه و كان يستخدم اسبانيا ضد الاتراك تارة و يستخدم بريطانيا و أسواقها ضد اسبانيا تارة أخرى و كانت مصلحته ان يداري و يحاور الجميع دون ان يتورط بالالتزام مع احد

علاقات المنصور مع الدولة العثمانية:

ارسل المنصور بعد ان تمت له البيعة رسولا الى السلطان العثماني برئاسة احمد بن يحي الهوزالي و لسائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب و منها الجزائر يخبرهم بالنصر و كان العثمانيون قد أوقفوا الحملة التي اعدوها لمهاجمة المغرب و لكن السفير العثماني طالب المنصور بتعيين إسماعيل بن عبد الملك المقيم في الجزائر مع امه التركية حاكما على فاس و كان هدف العثمانيين من ذلك اضعاف المنصور و إيجاد عميل موال لهم في شمال المغرب مما يقوي أملهم في بسط نفوذهم على المغرب لكن المنصور اهمل السفير و رفض

الرد عليه و حين وصل السفير الى المغرب طلب منه مغادرة المغرب فتوترت العلاقات المغربية العثمانية فتامر القادة الاتراك في جيش احمد المنصور و نادوا بأحقية أخيه عبد المؤمن سنة 1580 م وامه تركية و كان مقيما في تلمسان كما اقنع العلج علي السلطان بأعداد حملة لمهاجمة المغرب و قد علم المنصور بنوايا العلج علي فنجح في تجنب الغزو العثماني بالوسائل الدبلوماسية و قد تكررت السفارات بالرغم من التحاملات التي كانت بين الطرفين فان تعالي السلطان العثماني و عد نفسه الخليفة الوحيد و ان المنصور ليس الا حاكما و امير لفاس ومراكش وان الحاح العثمانيين على تسلم إسماعيل بن عبد الملك فاس من جهة و رغبة المنصور في تأكيد استقلاله عن الاتراك و اعتباره ندا للسلطان العثماني من جهة أخرى كان يحول دون وصول المفاوضات الى نتائج ملموسة و مع ذلك فان شعور العثمانيين و المنصور بتزايد الخطر الاسباني بعد ضم البرتغال و تضايق المنصور من الحاح الاسبان على تسليم العرائش من المغرب و مساعي الانجليز- البريطانيين - للتقريب بين الطرفين جعلهما يستمران في الاتصالات وتبادل السفارات و الهدايا و في سنة 1580 تلقى المنصور من السلطان رسالتين يقترح فيهما على المنصور التحالف و ان يقدم السلطان العثماني مراد الثالث مدافع حربية و قوات عثمانية تشترك مع المغاربة في مهاجمة اسبانيا كما عرض السلطان العثماني ابنته زوجة للمنصور لتوثيق هذا التحالف و امام الحاح اسبانيا على المنصور تسليم العرائش تملص المنصور بحجة رجوعه الرجوع الى السلطان العثماني و كانت بريطانيا تحث السلطان العثماني على التدخل لدى المنصور للامتناع عن تسليم العرائش للإسبان كما ابدى العلج علي رغبته للذهاب الى المغرب مع هدايا ثمينة للسعي لإبعاد مستشاري المنصور الميالين للإسبان و ظل تبادل السفارات في الأطر نفسها و في أواخر عهد المنصور و تحسنت لهجة السلطان العثماني الذي انشغل بالحرب مع النمسا و مشاكل البلاد العربية و تبدل وضع الجزائر بسبب الاضطرابات الداخلية

علاقات احمد المنصور بإسبانيا :

- بقاء الحلف الاسباني المغربي

- فتور العلاقة بعد مصالحة احمد المنصور مع الاتراك بعد ضم اسبانيا للبرتغال لها سنة 1580 م

- رغبة اسبانيا في الحصول على ميناء العرائش واوت اليها الأمير الناصر السعدي بن عبد الله الغالب اخا المتوكل

- الملك الاسباني الثاني شديد الاهتمام بالعرائش لإفشال مشروع بريطانيا وان تصبح مركز لأساطيله القادمة من أمريكا دون الحاجة لخدمات البرتغال

- 1581 وضع الاسبان والمغاربة مشروع اتفاق يقضي بتسليم العرائش لإسبانيا وتماطل المنصور في توقيع المعاهدة

- 1589 اقتنع ملك اسبانيا من سوء نوايا المنصور في تقديم العرائش له خصوصا بعد تحصينها بمعية بريطانيا

- هدف المنصور من صراعه مع اسبانيا هو استرجاع الممتلكات البرتغالية في المغرب

- استرجاع احمد المنصور اصيلا من فليب الثاني سنة 1589

- تحريض الاسبان للناصر للثورة على عمه المنصور وجراء فشل المحاولة امر المنصور بالقاء القبض على السفير الاسباني وملاحقة الاسبان في المغرب

- ازدياد سخط المنصور على الملك الاسباني فليب الثاني لتخطيطه احتلال الشاطئ الصحراوي بعض الجزر لتحويل ذهب السودان اليها

علاقات احمد المنصور مع بريطانيا – إنجلترا - :

- رغبة بريطانيا في الحصول على ميناء من الموانئ المغربية لاستخدامها في صراعها ضد اسبانيا وحاولت الاستيلاء على العرائش لكنها حولت انظارها نحو موغادور لحساسية الموقف

- توقيع الملكة اليزابيت التي كانت تتزعم المعسكر البروتستانتي المعادي للمعسكر الكاثوليكي الذي كان يتزعمه الملك الاسباني فليب الثاني حلفا مع احمد المنصور جراء ما حدث مع اسبانيا بانضمام هولندا لهما

- اهداف بريطانيا سياسية وتجارية فقد كانت تتساءل عن مصير تجارها في المغرب مقابل تزويد المنصور بالخشب الانجليزي لبناء اسطوله وأيضا استفادتها من نترات البوتاسيوم المغربية

- تشكيل بريطانيا لشركة بلاد البربر لاحتكار تجار المغرب لمدة 12 سنة وارسال وكيل لها الى المغرب وكان الوسيط بين بريطانيا والمغرب ومصلحة بريطانيا من هذه السياسة تحرير البرتغال وتنصيب امير موال للانجليز – دون انطونيوا – وطلب المساعدة من المنصور لدون انطونيوا لكن نتيجة ضغوط فليب الثاني حال دون تقديم المساعدات لدون أنطونيو

- التحالف البريطاني المغربي بعد هزيمة الارمادة الاسبانية وارسال مرزوق ريس ومحاولة دون أنطونيو استرجاع عرش البرتغال لكنه فشل

- اعيد التحالف البريطاني المغربي الهولندي وفرض احمد المنصور السيطرة داخل التراب المغربي والاسباني الى غاية وفاة فليب الثاني سنة 1598

- انشغال بريطانيا بضرب ايرلندا ووفاة الملكة اليزابيت في نفس السنة التي توفي فيها احمد المنصور سنة 1603 وانتهت هذه المشاريع التي أصبحت حبر على ورق وفشلت المساعي التجارية بين البلدين بسبب فشل الشركة البربرية

علاقات احمد المنصور بفرنسا :

- إدراك الحكومة الفرنسية بما يحدث في المغرب وعلاقتها الخارجية وأول قناصلها الى هناك الطبيب غليوم بيزار الذي كان يهدف الى استمرار العلاقات الطيبة بين البلدين وتهنئنة المنصور باسم ملك فرنسا والحصول على تسهيلات للسفن الفرنسية في موانئ المغرب وتحرير الاسرى الفرنسيين واطلاع حكومته على العلاقات المغربية الاسبانية والبريطانية وارسال كميات من النحاس والبارود وقروض مالية الى فرنسا

- جراء التهديدات والتدخل الاسباني في الشؤون الفرنسية جراء الحروب الدينية عقد احمد المنصور حلفا مع ملك فرنسا هنري الرابع لتنشيط العلاقات التجارية بين البلدين

-اهتمام فرنسا بالعرائش لإحباط المشروع الاسباني وفي سنة 1598 م تزامنا مع وفاة الملك فليب الثاني عقد الصلح بين اسبانيا وفرنسا

- نهاية احمد المنصور :

كانت السنوات الأخيرة من حكم المنصور كئيبة فقد انتشر الطاعون لمدة سبعة سنوات وهلك الكثير من المغاربة ولجا الكثير منهم الى الجبال ورافق الطاعون قحط دام ثلاثة سنوات ومجاعة مخيفة وكان أكثر ما جر في قلب المنصور عصيان ابنه وولي عهده المأمون وتوفي المنصور سنة 1603 م تاركا البلاد لمصير مظلم